

## تقرير لمذهب السادة العدلية في السحر وتأثيره.

**سؤال: هل ما يقوم به بعضهم من أعمال السحر والشعوذة يعمل حقيقة؟**

قلت: لتقرير مذهب السادة أهل العدل والتوحيد في المسألة باختصار لا بد أن نفرق في السحر بين نوعين:

الأول: الذي يتم عبر عقد ونفث وإشعال شموع وترديد عبارات واستعانة بأرواح وجن وغيرهم  
الثاني: الذي يتم عبر إطعام الضحية شيئا ما من صنع الساحر

أما الأول فهو غير مؤثر قولا واحدا، وكل من يدعي أن لذلك تأثير فهو مطالب بإثباته وإلا فهو كاذب.  
وذلك لأمر منها:

أولا: هذا يتعارض مع مبدأ حرية الإرادة التي خلقها الله في الإنسان، فلكي نحاسب يوم القيامة وندخل الجنة أو النار، لا بد أن تكون عندنا حرية في الدنيا لكي نختار. ووجود طريقة يستعين بها إنسان كي يسيطر على أفعالك عن بعد وبشكل غير مفهوم يعارض هذا المبدأ الأصيل عند السادة العدلية.

ثانيا: إن الجن من مخلوقات الله عز وجل، نعيش وإياهم في هذه الدنيا بشكل منفصل، فليس للإنسي سلطة على جنّي ولا لجني سلطة على إنسي. بل إننا لو لم نعرف شيئا عن الجن أصلا لما ضلنا ذلك شيئا، وإنه لا فائدة دينية ولا دنيوية من معرفة أخبار الجن. والقرآن العظيم صرح بوجودهم وبأنهم مخلوقات خلقها الله لنفس الغاية التي خلق من أجلها الإنسان ولم يفصل في ذكر تاريخهم وأخبارهم، وإنما عرض بطاقة تعريفية عنهم كي نفهم قصة سليمان عليه السلام وليس الغرض دعوتنا للبحث في أمرهم.  
ولأن الجني مخلوق لله كما الإنسي وموعده يوم القيامة يدخل الجنة أو النار، فإن للجني أيضا حرية إرادة وله كرامة، فهو لا يعيش في مجاري المياه والدور المهجورة ولا في أجساد البشر كما يردد الجهلة. ولا يتم تسخيرهم من قبل السحرة والمشعوذين لقول الله عز وجل: "إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم". يقول الزمخشري في تأويل ذلك: "وفيه دليل بين أن الجن لا يرون، ولا يظهرون للإنس، وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم، وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور، ومخرقة" 1

ثالثا: إن العلم التجريبي لم يثبت وجود أي تأثير للسحر والشعوذة، فهي تدخل في إطار الدجل والزيغ. وقد قامت مؤسسات علمية كبيرة بتحدي كل من يثبت تأثيرا للسحر مقابل ملايين الدولارات كجوائز. مثال على ذلك مؤسسة جيمس راندي 2 التي أعلنت عن جائزة مليون دولار لكل من يثبت وجود خوارق وسحر، وقد تقدم إليهم العديد من السحرة، لكن المؤسسة كشفت كذبهم وزيفهم.

رابعا: اعلم أن الله خلق هذا الكون ونظمه وجعله يتحرك بقوانين مضبوطة، لتدل على وجوده عز وجل. ولهذا قال أينشتاين مرة: "إن الله لا يلعب بالنرد" 3، لأن الكون يمكن أن نفهمه إذا درسناه. بل ويمكن إن فهمنا كيفية عمل نظام معين أن نتوقع أشياء لا ندركها في الوقت الحاضر.  
فقد توقع العالم الفلكي يوهان غتفريد غال وجود كوكب نبتون سنة 1846 دون أن يراه، فقط بالحساب الرياضي 4، وبعد سنوات رصدنا الكوكب بالتلسكوب. وتوقع أينشتاين في نظرية النسبية العامة وجود

الثقوب السوداء في الكون رياضيا، وفعلًا تأكدنا من وجودها بعد مئة سنة وتعمل بنفس الطريقة التي شرحها أينشتاين<sup>5</sup>.

ولهذا أمرنا الله تعالى بتعلم الرياضيات والفيزياء والعلوم الإنسانية وغيرها كي نستدل بها على وجوده، وهو معنى قول المعتزلة: "إن أول الواجبات النظر المؤدي إلى معرفة الله لأنه تعالى لا يعرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر".<sup>6</sup>

ولو كان الكون بغير نظام وكانت العشوائية هي السائدة، لما أمكن أن نستدل على وجود الله. وبالتالي فإن الماورائيات والأرواح وتدخل قوى غريبة لا يمكن قياسها بأي معيار يدخل في العشوائية.

خامسًا: إن الذي يميز النبي ويجعله نبيا هي المعجزات والخوارق التي يأتي بها، فموسى مثلا كان يحول عصاه لثعبان، وعيسى كان يشفي الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وفي العهد الجديد يمشي فوق الماء، وسليمان كان يفهم لغة الحيوانات، والنبي محمد كان يجعل البئر الجاف يعود فيه الماء، وكان يعلم بما يدور في أذهان بعض الصحابة فيخبرهم به. وأخبر بالعديد من الأحداث المستقبلية كفتح القسطنطينية ونهاية الخلافة ومقتل الحسين وعمار بن ياسر وكسرى وغير ذلك.

هذه الأحداث والخوارق التي ليس لها تفسير علمي وتناقض قوانين الطبيعة تحدث للأنبياء فقط، وبأمر من الله عز وجل خالق القوانين والوحيد القادر على تغييرها.

فإن قلنا بأن السحرة بإمكانهم خرق قوانين الطبيعة فقد حدث عندنا إذن خلط بين النبي والساحر، وهذا هو ادعاء الكفار والمشركين، فهم دائما ما يتهمون الأنبياء بأنهم سحرة. وهذا طعن في النبوات. "وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ" (الزخرف:30)

وينتج عن سماح الله تعالى للسحرة بخرق قوانين الطبيعة القول بأن الله يسمح بالشر. وأنه شرير. والمعتزلة قالوا إن الله لا يصنع الشر ولا يريده، إن الله خير يحب الخير. إنما الشر من فعل الإنسان.

أما النوع الثاني من السحر فهو يؤثر، لكن ليس لأنه سحر، بل لأن الضحية أطمعت طعاما أو أشربت شرابا ما، وفي الغالب يكون هذا الطعام فاسدا عفنا به ملايين المايكروبات، ذلك أن السحرة يستعينون بأدوات قدرة تعج بالجرائيم في عملهم، كيد إنسان ميت، أو بول أو عضو حيوان ما أو فضلاته. فيصيب هذا الإنسان بمرض مزمن، وقد يقضي على نشاطه مثلا فيصبح ساكنا طول الوقت على غير عادته، فيظن الناس أن الرجل فعلا مسحور، لكن لا يدركون أن في داخله فيروسات تدمر خلاياه وتنتهي حياته ببطئ.

**فإن قلت: فما تأويل قول الله: "وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ...؟"**

قلت: إن هذه الآية هي أقوى ما في جعبة من يقولون بالسحر، ولو عرضناها من البداية واكتفينا بها لهدمنا حجة الخواريين. لكن رغبة في إنهاء القصة بضربة قوية نورد هذه الحجج حتى لا يبقى للعاقل شك في المسألة.

اعلم أن تكليم الحيوانات والتواصل مع الجن وتسخيرهم من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام وخواصه التي أعطاه الله إياها آيات على صدق نبوته، كما أعطى الله موسى القدرة على تحويل العصا إلى أفعى. فهذه معجزات وخوارق سمح الله بها لأنبيائه لغرض خير هو هداية الناس وتعريفهم بشريعة الله.

أعرض ألان أقوال السادة المعتزلة في تأويل هذه الآيات:

يقول شيخنا أمين نايف ذياب رحمه الله في فهم هذه الآيات كلاما متينا أورده هنا كاملا لأهميته: "...الجملة الأولى من الآية تنديد بمعهودين من الناس بسببين : الأول بقوله تعالى : (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ)، والشياطين التي تتلوا على ملك سليمان هم من شياطين الإنس من اليهود ، بقولهم ملك سليمان لم يكن بسبب نبوته ، بل سبب ذلك كون سليمان ساحرا، و الثاني قولهم بكفر سليمان إذ اتهموه بتعاطي السحر ، فرد تعالى قولهم عليهم بنفي كفر سليمان ( وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ) وأعاد الكفر على القائلين بهذه الفرية على نبي الله سليمان بقوله : ( وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ) وكان كفرهم وهنا الكفر ليس ضد كلمة الإيمان بل بكونهم : (يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) فهل المراد المقولة الظالمة لنبي الله سليمان أم المراد تعليم الناس فن السحر؟ والراجح هو وصفهم سليمان بالسحر والدليل على ذلك أنهم يعلمون الناس كما هو نص القرآن (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) وعند كثير من المفسرين أن فن السحر علم من قبل ملكين هما هاروت وماروت ببابل فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون الأول غير الثاني ورغم وجود قراءة ثانية بجعل ما نافية لكن السياق يدل على تعليم الملكين لفن السحر في زمن نبوة في بابل وهو من باب تعليم الشر ليتقى وليس ليعمل والدليل على ذلك نهيهما عن العمل بالسحر بقوله تعالى : (وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ ؛ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ؛ فَلَا تَكْفُرْ) ، والسحر كما هو بالآية ليس قلبا لحقائق الموضوع والأشياء وتأتي آيات أخرى تحسم هذا الموضوع فهي تعلم إيجاد الوهم عند بعض الضعفاء بالإيمان فيحدث الوهم ما وصفه الله تعالى بدقة بقوله : ( فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ؛ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ) وبيّن نص الآية عجزهم عن إحداث الضرر وفق مرادهم فيقول تعالى : ( وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ) نفيا قاطعا جازما ولا تأتي الجملة التالية من الآية دالة على إذن شرعي أو إذن كوني بل المراد بيان علم الله بفعلتهم ليكونوا أقرب إلى البعد عن هذه المعصية ( إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ) ويأتي ختام الآية وعيدا وتهديدا لمن يباشر هذا العمل مستغلا ضعف اليقين عند بعض الناس : ( وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ؛ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ) ثم يأتي مباشرة شدة الوعيد في نهاية الآية : ( وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ؛ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ، وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ؛ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) وهذه هي من أكثر ما يشاغب بها زاعمي تأثير السحر . وإذ تفضحهم الآية فماذا بقي لهم ليقولوا على الله مقالة السوء يرتزقون بفعل حرام وهو مع هذا مجرد وهم."7.

يقول الزمخشري في " فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ " : "أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين، من حيلة وتمويه، كالنفث في العقد، ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرق والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه"8.

يقول القاضي عبد الجبار في الرد على شبهة الحشوية في الآية: "...إن السحر في الأصل هو ما لطف مأخذه مما يقصد به الإضرار والاحتيال، لكن في الناس من يوهم أنه يفعل ما لا حقيقة له. كما يدعي بعضهم أنه يطير بلا جناح ويركب المكناس وغيرها فيبعد بالوقت اليسير. وأنه يخبط الناس ويصور المرء بخلاف صورته إلى ما شاكل ذلك. وهو قال صلى الله عليه وسلم ( من أتى كاهنا أو عرافا فصدقهما فيما يقولان فقد كفر بما أنزل على محمد )، لأنهم يوهمون أنهم يعلمون الغيب وذلك كذب منهم ربما صدق في هذا الزمان بعض المنجمين في مثل ذلك، وهو عظيم يوجب الطعن في نبوة الأنبياء صلوات الله عليهم الذين إنما عرفت نبوتهم بأن أظهروا علم الغيب. نحو قوله عز وجل في وصف عيسى عليه السلام ( وَأَنْتَبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ ) فمن أوهم ذلك فهو كافر"9.

### فإن قلت: وما تقول في قول الله تعالى: "ومن شر النفاثات في العقد"؟

قلت: إنه قد تم تفصيل ذلك في الكلام عن نوعي السحر، وهنا نكتفي بعرض نقولات من كلام السادة المفسرين ندعم بها الحجج أعلاه:

يقول جابر الله الزمخشري: "النفاثات النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين: والنفث النفخ من ريق، ولا تأثير لذلك، اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار، أو سقيه، أو إشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه؛ ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبوت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام، فينسبه الحشوية والرعاع إليهن وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به. فإن قلت: فما معنى الاستعاذة من شرهن؟ قلت: فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهن في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن، ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: إن كيدكن عظيم [يوسف: 28]. تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم ومحاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك." 10.

يقول أبو مسلم الأصفهاني رحمه الله في الآية: "والنفاثات هن النساء اللاتي يملن آراء الرجال ويصرفهم عن مرادهم، ويردونهم إلى آرائهن، لأن العزم والرأي يعبر عنهما بالعقد. فعبر عن حلها بالنفث، فإن العادة جرت أن من حل عقدة نفث فيها." 11.

قلت: وبالتالي: فلا سحر ثمة ولا خوارق.

### فإن قلت: فالسحر في زمن موسى عليه السلام؟

قلت: إن قصة موسى مع السحرة دليل لنا لا علينا، فجميع الآيات التي تتحدث في الموضوع تثبت أن السحرة كانوا يسحرون أعين الناس ويخدعونهم، تماما كما يفعل محترفوا ألعاب الخفة اليوم، أما سحر موسى فقد كان حقيقيا لأنه تم بإذن من الله. بقول الله تعالى: "خَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى" سورة طه

يقول شيخنا أبو ياسر المعتزلي رحمه الله تعليقا على آية "فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ": "قول موسى عليه السلام المراد به أن الله يبطله أي يلغي قدرتهم عليه بعد أن كانوا ممكنين منه وهذا لا يجوز اعتناقه من قبل مؤمن يؤمن بأن الله لا يفعل القبيح أو المراد به يقوي الله الضعفاء بتأييده لا بفعله من إدراكهم للحقيقة فتفوت فرصة التوهم والشعوذة عليهم وهذا ما تؤمن به المعتزلة والواقع المعاش دال على ذلك من كون ضعفاء التفكير فقط من نساء وسذج وأصحاب هوس في الخرافة والأسطورة هم الذين يعانون ذلك الوهم." 12.

## فإن قلت: وماذا عن الآثار الواردة في سحر النبي محمد عليه السلام؟

قلت: إن القول بسحر النبي الأكرم محمد عليه السلام هو من أقوال المشركين، بنص القرآن الكريم: "إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا" الإسراء.

وتنزيها لجناب النبي الأعظم فالمعتزلة يردون كل الأحاديث (وكلها آحاد) الواردة في هذا الموضوع لتعارضها مع القرآن الثابت المتواتر الذي كذب قول المشركين في اتهامهم النبي محمد بأنه مسحور. يقول أبو بكر الجصاص فقيه الأحناف تعليقا على حديث سحر النبي: "ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو الطغام" 13.

ودخول الملاحظة على خط اختلاق الأحاديث لاتهام النبي محمد بالعظائم وتشكيك المسلمين في رسالتهم أمر معروف، خصوصا في مناطق التماس مع الحضارات الأخرى كالعراق والشام، ومنهم من قبض عليه في العصور الأولى بتهمة اختلاق الأحاديث، فيعترف بعضهم أنه اختلق آلاف الأحاديث!

قال حماد بن زيد: "وضعت الزنادقة على النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حديث" 14 وقال ابن عدي: "لما أخذ ابن أبي العوجاء وأتى به محمد بن سليمان بن علي فأمر بضرب عنقه قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام" 15.

وقال ابن الجوزي: "وقد كان من هؤلاء من يتغفل الشيخ فيدس في كتابه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظنا منه أنه من حديثه" 16.

وكان السلف يدخلون على محدث فيجدونه يقول: حدثني فلان عن فلان... فيرد عليه: أنا فلان ووالله لم أحدثك بشيء أبدا ولا رأيته قبل اليوم!

ولذلك، قال أهل العدل والتوحيد بعدم حجية خبر الواحد في أمور العقيدة، وأن أي خبر لا يتوافق مع كتاب الله لا يتم الالتفات إليه.

قال شيخنا أبو بكر الأصم أنه قال: "إن حديث سحره صلوات الله عليه، المروي هنا، متروك لما يلزم من قول الكفرة أنه مسحور. وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه" 17. وقال القاضي عبد الجبار: "هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها، والله تعالى يقول: "والله يعصمك من الناس" وقال: "ولا يفلح الساحر حيث أتى" ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة؛ ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل، وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور. فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة، ولحصل فيه -عليه السلام- ذلك العيب. ومعلوم أن ذلك غير جائز" 18.

## فإن قلت: وما شأن الرقاة؟

قلت: دجالون أفكون يكذبون على عباد الله، وبعضهم ملاحدة ومرتدون في لحى وسواك ولباس قصير. "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون" البقرة. يفعلون ذلك لكسب المال وللضحك على المؤمنين المصابين بأمراض نفسية وربما عضوية مكان علاجها الطبيعي هو المستشفى.

وكل ما يستعينون به من طرق لفك السحر إن هي إلا خز عبلات ابتدعوها يكذبون بها على العامة والحشوية من أجل المال. وهم كذبة على الله ورسوله ويعرفون أنهم يكذبون ويعرفون أننا نعرف أنهم يكذبون، لكنهم مع هذا لا يستحون.

**فإن قلت: فعلاجهم بالقرآن؟**

قلت: إن ادعاء بعضهم وجود تأثير للقرآن في علاج المرضى، يقابله ادعاء المسيحيين أن قراءة الإنجيل على المريض يعالج السحر، فأيهما أصح؟ لا يوجد شيء اسمه العلاج بالقرآن الكريم، إن القرآن دستور يوضح العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ويأمر وينهى ويوضح الحلال والحرام إلى ما ذلك، أما علاج الأمراض فهو شغل الأطباء ولا دخل للدين فيه.

والله تعالى أعلم  
والحمد لله رب العالمين

---

مصادر:

1- تفسير الكشاف

2-<http://www.skepdic.com/randi.html>

3-(Einstein 1969). A reprint of this book was published by Edition Erbrich in 1982, ISBN 3-88682-005-X

4-[https://en.wikipedia.org/wiki/Discovery\\_of\\_Neptune](https://en.wikipedia.org/wiki/Discovery_of_Neptune)

5-[http://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2016/02/160211\\_space\\_gravitational\\_waves](http://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2016/02/160211_space_gravitational_waves)

6- شرح الأصول الخمسة

7- موسوعة جدل الأفكار: جدل مع فكر الاعتزال

8- تفسير الكشاف

9- تنزيه القرآن عن المطاعن

10- تفسير الكشاف

11- تفسير أبو مسلم الأصفهاني

12- موسوعة جدل الأفكار: جدل مع فكر الاعتزال

13- أحكام القرآن

14- 15- 16 : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق

17- تفسير محاسن التأويل

18- تفسير مفاتيح الغيب